ما أعرِفُ هذا المذهب، ولا أنا من أهله، بلى لي مالٌ كثيرٌ فخُذْ منه ما تريد، واعفِني من هذه السِّمة. فضحك وقال: اجتمع مع المِيْمَندي [ ـ وكان المِيْمَندي يستخلص له المال ـ] فاجتمع به، فَقَرَّر عليه مالاً، فلمَّا عاد إلى محمود قال [له]: أسألك أن تكتب لي كتاباً إلى نيسابور بأنني ما أنا قرمطيٌّ بل سُنِّيٌّ. فضحِكَ وكتبَ له.

وكان سُبُكْتِكين قد أخرب مشهدَ[١] عليِّ بن موسى الرِّضا بطُوس، وأجرى الخيلَ عليه، ودثره وعَفَّى آثاره، فلمَّا وَلِيَ محمودٌ [ولدُه] رأى أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في المنام وهو يقول له: إلى كم هذا؟ فوقر[٢] في نفسه أنَّ ذلك لأجل المشهد، فتقدَّم ببنائه، وردَّه إلى أحسن ما كان عليه، ورَدَّ أوقافه، وكان أهلُ طُوسٍ يؤذون[٣] أكثر مَنْ يزوره، فزجرهم عن ذلك، وعادَتْ حالُه إلى أجمل ما كانت [عليه]، وقصده الناس بالزيارة من بلاد خُراسان [كلِّها] ما وراء النهر، وأمر أن يُجرى لزوَّاره ما يحتاجون إليه.

وأَمَّا ولدُه مسعود فإنَّ كتابَه ورد على الأجلِّ العادلِ بفارس من نيسابور، أنه قد استولى على خُراسان، وملَّك أخاه محمداً، وأبقى عليه وتركه في بعض القلاع مُوسَّعاً عليه، مصوناً، وأنه قد جرد إلى أبي جعفر بن كاكويه إلى الري العساكر، وكان أبو جعفر قد دخلها بسبعة عشر ألفاً يدفعونه عنها، والتمس من الأجَلِّ مخاطبةَ ابنِ كاكويه بالخروج من الريِّ، فأحسن الأجلُّ إلى الرسُلِ وخلع عليهم، وكتب الجواب، وعادوا به إليه.

## السنة الثانية والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم نقب اللُّصوص دارَ المملكة وجلالُ الدولة فيها، وأفضَوا إلى حجرةٍ من حُجَر الحرم وأخذوا منها ثياباً، ونَذِرَ بهم فهربوا، فرتَّب الملكُ حُرَّاساً يطوفون حولها كلَّ ليلة[٤].

---

(١) في (م١): مسجد.

(٢) في (م) و(م١): فوجد.

(٣) في (خ): يقتلون، المثبت من (م) و (م١).

(٤) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢١٣. ومعنى «نَذِر» هنا: عَلِمَ.

وفي آخر ليلة بقيت من المُحرَّم استتر الوزيرُ عميدُ الدولة، ثم هرب إلى تِكريت، وقد كان استترَ قبل ذلك وسكن دارَ الخلافة، ثم توسَّط القادرُ حالَه وخرج، ثم استترَ ثانياً وخرج إلى تِكريت، وسببُه سوءُ رأيِ جلال الدولة وإطماعِه الأتراكَ فيه والمصادرات.

وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول صرف أبو الفضل محمد بن علي بن عبد العزيز ابن حاجب النعمان عن كتابة القادر، وكانت مدةُ كتابته سبعةَ أشهر وعشرين يوماً، وتوصَّل عميدُ الرؤساء أبو طالب محمد بن أيوب إلى التعلُّق بخدمة القائم، فتمَّتْ له كتابتُه، وعاونَه ريحانٌ خادمُ القائم، ونُقِلَ إلى الخليفة عن أبي الفضل أشياءُ أوحشَتْه منه، فأبعدَه وسلَّم الكتابة إلى أبي طالب.

وفيها وَزَرَ النفيسُ مُعِزُّ الملك أبو الفتح محمد بن الفضل بن أزدشير لجلال الدولة.

قال هلال: وفي هذا الوقت وردَ مَنْ أخبر بما جرَتْ عليه الأمور بخُراسان بعد وفاة محمود، فقال: لمَّا مات محمود اتَّفق أبو الحسن علي خشاوند الحاجب وأبو علي حُسينك الوزير، وبينهما مودَّةٌ ومصافاةٌ على إمضاء وصية محمود في ترتيب محمدٍ ولدِه من بعدِه، فكاتباه، فورد، واجتمعت كلمةُ الجند على تأميره، وأطلقَ لهم الأموال، واستولى على البلاد والقلاع، وورد مسعود إلى نيسابور، وقد جرَتِ الأمورُ على ذلك فأقام، واختلفت بينه وبين أخيه محمدٌ مراسلاتٌ، ومال الجند إلى مسعود؛ لقوَّةِ نفسه، وزيادةِ فضله، وتمامِ هيبتِه، وكثرةِ حشمتِه، وراسلَه القُوَّاد، واستمال عليًّا الحاجبَ واجتذبه، وحدث بين الحاجب وحُسينك الوزير فسادٌ، فقبض عليه، واعتقله في القلعة، وسار محمدٌ يُريد قتالَ أخيه، فبرك بكساباذ، وقد تغيَّر الجند عليه، ومالوا إلى مسعود، فخاف الحاجبُ أن يعلنوا بذكر مسعود من غير أن يظهر منه أثرٌ في خدمته، فقبض على محمد، وأصعده إلى قلعةٍ هناك، ونَهَبَ العسكرُ سوادَه وكراعَه، وسارَ أكثرُهم إلى مسعود، وبعث الحاجب أخاه مدركاً إلى مسعود يُعرِّفه بما فعل، فخلع عليه الخِلَعَ الجليلة، ولقَّبه بحاجب الحُجَّاب، فقال: أيها الملك، إذا عامَلْتَني هذه المعاملة، فأيُّ شيء يبقى لعبدك أخي؟ فقال: ذاك خليفتي على ممالكي، والمقدَّمُ على

عساكري. فكتب إلى أخيه بذلك، فاغترَّ وسار إلى هَراة، فلمَّا دخل على مسعود أمر به وبمدرك أخيه، فقبض عليهما، وأخذ أموالهما.

وفي رواية: قال ابن الصابئ: لمَّا وَلِيَ محمدٌ انهمك على الشرب واللَّذات، وسلم بابه إلى الحاجب والوزير، واعتمد عليهما، فوثب الحاجبُ على الوزير، فقبضه لمنافسة بينهما، ولم يعلم محمدٌ؛ لاشتغاله بما هو فيه، فلمَّا علم أمرَهما بالمصالحة، فثقُلَ ذلك على الحاجب وتغيَّر عليه، ووافى [مسعودٌ] (١) نيسابور، فخرج محمدٌ لقتاله، ولمَّا وصل إلى بكساباذ يوم الخميس سلخ رمضان أقامَ يومَه صائماً، ثم عيَّدَ وأفطر، ورجعَ إلى عادته من الشُّرب، واتَّفق الجندُ على عَزْلِه، ووافقهم يوسفُ عمُّه وعليٌّ الحاجبُ، فراسلوه وقالوا: أضعتَ الأموالَ، وأهملتَ الأمور، وتشاغَلْتَ بالشُّرب على التدبير، ولا يستقيم [بكَ أمرٌ، ولا يستتمُّ] على يدِكَ ملكٌ، فإمَّا مضَيْتَ مع عمِّكَ إلى أخيك مسعود، وإمَّا أن تقصد هذه القلعة فتقيمَ فيها، فلمَّا رأى الجندَ عليه، وفارقَه حاشيتُه، صَعِدَ إلى القلعة، فوكلوا به فيها، ومضى يوسفُ وعليٌّ الحاجبُ إلى مسعود، فقبض عليهما وعلى وجوه الدولة وقتلَهم، وأخذ أموالهم، وكان مسعود قد أظهر بنيسابور، وورد كتابُ الخليفة عليه بتقليده خراسان، وتلقيبِه إيَّاه الناصر لدين الله، الحافظ لعباد الله، ظهير(٢) خليفة الله، ولبس خِلَعاً وتاجاً وطوقاً وسِوارين، وركب وتحته فرسٌ بمركب ذهب، وبين يديه مثلُه، وعلى رأسه لواءان، وادَّعى أنَّها خِلَعُ الخليفة، فكان هذا ممَّا زاد أمرَه قوةً، والناسَ رغبةً فيه وطاعةً له، وكتب إلى الخليفة في هذا المعنى، وأطلق المِيْمَندي واستَوْزَره، وكان محمود قد صادره، وأخذ منه خمسة آلاف ألف دينار عيناً، وبألف ألف دينار جوهرٍ وثيابٍ وأثاثٍ وغيرِه، وقتل مسعودٌ عليًّا الحاجبَ وأخاه مدركاً، وهَمَّ بإطلاق الوزير حسينك، فأُغري به، وأظهر ورود كتاب الخليفة بقَتْلِه وصَلْبِه ورَجْمِه، فصُلِبَ، فكان الرجل يرميه بحجر ويقول: هذا بأمر مولانا أمير المؤمنين. ثُمَّ حُطَّ وسُلِّمَ إلى أهله، فدفنوه، وسَمَلَ محمودٌ أخاه محمداً في القلعة.

---

(١) هذه الزيادة والزيادة الآتية من (ف).

(٢) في (خ): ظهر، والمثبت من (ف).

وفي ربيع الأول تجدَّدت ببغداد فتنةٌ عظيمةٌ، وسببُها أنّ الحركي[١] الصوفي طلب الجهاد من الخليفة، فأذِنَ له، وأُعطيَ المُنْجوقَ[٢] والمنشور[٣] بذلك من دار الخلافة، فاجتمع إليه لفيفٌ كثيرٌ، وعبر إلى جامع المنصور للصلاة فيه وقراءة المنشور، فاجتاز بالمحالِّ العربية ـ وبين يديه العامة ـ بالسلاح، وأعلنوا بذكر أبي بكر رضوان الله عليه، فخرج إليهم أهل الكَرْخ، وثارتِ الفتنةُ، ومزَّقوا المُنْجوقَ، ونادى الناسُ: النفيرَ النفيرَ، ووقع القتالُ، ومُنِعَتِ الصلاةُ، ونُهِبَتْ دارُ المرتضى، واحتمى له الأتراك جيرانُه، ووقعتِ الحربُ، واحترق الكَرْخُ، وركبَتِ العساكرُ، وأشرف أهلُ الكَرْخِ على خُطَّةٍ عظيمةٍ، فكتب الخليفةُ إلى الملك والإسْفَهسلارية، وأنكر عليهم إنكاراً عظيماً، ونسَبَ إليهم تمزيقَ المُنجوق، فركبَ الوزيرُ، ودخل بين الصفَّين، فجاءته آجُرَّةٌ في صدره، وسقطَتْ عِمامتُه من رأسه، وعاد موهوناً، وقُتِلَ جماعةٌ من أهل الكَرْخِ ومن الأتراك، وقُتِلَ الغازي، واحترق الجانبُ الغربيُّ، وكان السبب سقوطَ هيبة السلطنة.

وفيها نقِبَتْ دارُ المملكة ثانياً، ولم يَبْقَ إلا أخذُ حُرَمِ الملك أبي كاليجار المعتقلين بها وبدربهم، فهربوا، ونُقِلَ الحُرَمُ إلى مكان آخر، ثم أُطْلِقوا بعد ذلك.

وفي شعبان لَحِقَتِ الخليفةَ شَكاةٌ، وأُرجِفَ عليه، فانتقل مَنْ كان ملتجئاً إلى داره عنها، ونَقَلوا أموالهم، وطولِبَ القائمُ بمال البيعة، وضجَّ الأتراكُ، ثم عُوفيَ الخليفةُ، فسكن الناس.

وفي رمضان اجتمع الأتراكُ، وشكَوا جلال الدولة وإغفالَه أمورَهم، وراسلوا الحُجَّاب بقَطْعِ خُطبَتِه يومَ الجمعة إلى أن يستقِرَّ حالُهم ورأيُهم على من يرونه أهلاً، وعرَفَ الملكُ ذلك، فقَلِقَ، وأرسل إلى الإسْفَهسلارية وجميعِ العساكر، ووعدهم وأعطاهم، وعزَمَ الملكُ على الركوب إلى الجامع ليُطفئَ هذا الأمرَ، وحلفَ لهم، واستمالَ الكبارَ منهم، فتوقَّفَ الحالُ، ثمَّ اجتمع الغِلمانُ، وعاتبوا المُقدَّمين، وبعثوا إلى الخليفة يقولون: نحن عبيد مولانا، وقد علم ما عليه هذا الملك من اطِّراحنا،

(١) هكذا في النسخ (خ) (ف)، وفي المنتظم ١٥/ ١٢٣: الخزلجي، وفي تاريخ الإسلام ٩/ ٣٤٢: الحرمي.

(٢) المُنجوق: الراية. المعجم الذهبي ص ٥٤٨.

(٣) المنشور: بيان العسكر. المعجم الوسيط (نشر).

ونريد [أن][1] نقطع خطبتَه، فخرج الجواب: أنَّنا على النيَّة التي تعرفونها في المراعاة لكم، وهذا الرجل مولاكم، وشيخُ بني بُوَيه اليوم، وله في عُنُقِنا عهودٌ، وإذا أنكرتم منه أمراً ردَدْناه عنه. فانصرفوا غيرَ راضين، فلمَّا كان من الغد حضر قومٌ منهم جامع الرُّصافة، ومنعوا الخطيبَ من ذِكْرِ الملك، وضرب أحدُهم يدَه بخشبة زوبين، وخاف الناسُ الفتنةَ، فتفرَّقوا من غير صلاة، وتكرَّرتِ الرسائلُ بالشَّكوى إلى الخليفة والحُجَّاب، ثم تقرَّر الحالُ في التوسُّط بينهم، فاجتمع الأكابر، وضَمِنوا عن الملك ما اقترحَ الغِلمانُ، فسكنوا، وخرج توقيعُ الخليفة يقول بأن لبني بُوَيه علينا حقوقاً وعهوداً يلزمُنا الوفاءُ بها، ولم يَبْقَ منهم إلا جلالُ الدولة شيخُهم المقيمُ عندنا، وأبو كاليجار ابنُ أخيه المقيمُ بالأهواز، والأَوْلى أن تعرِفوا حَقَّ مولاكم الحاضِرِ عندكم، والمتولِّي لأموركم، وتقبلوا من أكابركم، ونحن نكتبُ إلى جلال الدولة بما ذكرتُم، ونبعثُه على النظر في أموركم، وكتب الخليفة إليه، فجاء الجواب: قد كُنَّا في قُطرٍ من المملكة وأمورُنا مستقيمة، وهيبتُنا قائمة، وموارِدُنا دارَّةٌ، ومعنا أموالٌ ووزيرٌ وخيلٌ وغِلمانٌ وتجمُّلٌ، فدعونا إلى هذه الحضرة، فتركنا الأمور على حالها، وأقررنا الجماعةَ على رسومها، ولم نتعقَّب أحداً بإزالةِ نعمة، ولا أخذناه بتقديم إساءة، ثم اقترح علينا صرفَ الوزير الذي كان معنا المتخرم بنا، ففعلنا، وولَّوا من أرادوه، وتوجَّهنا إلى الأهواز، فغنموا ما غنموا من الأموال، ولم يُتعرَّضْ لهم، ولم يقنعوا حتى طالبونا مطالبةً أخذوا بها ما كان حصل لنا، وأقمنا على أصعب خِطَّة[2]، والآن فلا مال في أيدينا، والمطالبة لنا به ضربٌ من العبث، فإن قصدوا الصلاح فطريقه واضح، وإن أرادوا التجنِّي فما يُدفع بشيء، ونسألُ اللهَ حُسنَ المعونة.

فقُرئ الكتاب، فبعضُهم قال: صدق، وفريقٌ قالوا: أَيش نعمل. وانفصل الحالُ أنَّ الملك وحاجبَ الحُجَّاب والأكابرَ ينحدرون إلى واسط ليُدبِّروا أمر البصرة، ويكون بعد الإفطار، وسكنت الفتنةُ، واستمرَّت الخطبة للملك.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) في (ف): على أضعف خطبة.

وفي سلخ رمضان كان المهرجان، فلم يجلسِ السُّلطان، ولا ضُرِبَتِ البوقاتُ والطبولُ، وأصبح يوم الفطر، واستمرَّ الحالُ ولم يُضرَبْ طبلٌ ولا بوقٌ، ولا نُشِرَ عَلَمٌ [ولا فُعِلَ شيءٌ ممَّا جرت به العادة]، وعادت الفتنُ إلى حالها.

وفيها قُتِلَ أبو علي الحسن بن علي بن ماكولا بالأهواز، قتله غلامٌ له يُعرف بعدنان، كان يجتمع مع امرأةٍ في داره [على فاحشةٍ]، وعَلِمَ، فخافا منه، وساعدهما فرَّاشٌ كان في داره، فغَمَّوْه وعصروا خُصاه، فمات، وأظهروا أنَّ قوماً كبسوه ليلاً، وأُخِذَ الغلامُ والفرَّاشُ وضُرِبا، فأقرَّا، فصُلِبا، وحُبِسَتِ المرأةُ[1].

وفي ذي الحجَّة تُوفِّي الإمام القادرُ بالله أمير المؤمنين.

## الباب السادس والعشرون في خلافة القادر بأمر الله[2]

واسمه عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن جعفر، المقتدر، أبو جعفر، وأمُّه بدر الدُّجى أمُّ ولد، أرمينية. وقيل: قطر الندى، أدركت خلافتَه، وصبرت على الشدائد أيام البابسيري، وتوفِّيت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة.

ومولده يوم الجمعة ثامن عشر ذي القَعدة سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، وقُتِلَ يوم الخميس، وبُويع في الحادي عشر من ذي الحِجَّة يوم الاثنين. وقيل: يوم الثلاثاء ثالث عشره وسِنُّه إحدى وثلاثون سنة.

وقال هلال بن الصابئ: في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجَّة على ساعةٍ مضَتْ منها تُوفِّي القادر، وأُظهِرَ موتُه في صبيحتها، وحضر حاجبُ الحُجَّاب أبو المظفر والمتبجِّج[3] والمختصُّ أبو غانم والإسْفَهسلارية ومؤيَّد الملك أبو علي والأشراف والقُضاة والعدول وطبقات الناس، وقام حاجب الحجاب والمتبجِّج على باب المراتب، والمختص على باب الحلبة؛ إشفاقاً من فتنةٍ تحدث، فلم يكن إلَّا السكون، فلمَّا كان وقت العصر استُدعيَ الخواصُّ ومنهم مَنْ ذكرنا، والشريفُ

(١) ينظر المنتظم ١٥/ ٢٢١ .

(٢) المثبت من(خ)، وفي (ف): القائم بأمر الله، ووقع في مصادر الترجمة: القادر بالله.

(٣) هكذا وقع رسمها في النسختين (خ) و(ف)، والله أعلم بالصواب.

المرتضى، ونظامُ الحضرتين أبو الحسن الزينبي، وقاضي القُضاة أبو عبد الله الحسين ابن علي، والأشراف، والعلماء إلى دار السلام، فأُجْلِسوا هناك، وخرج القائم من وراء سَبَنِيَّة[1]، فصلَّى بالحاضرين المغرب، وصلَّى بعدها على تابوت القادر، وكبَّر عليه أربعاً، ثم جلس في دار الشجرة على كرسيٍّ، وعليه قميصٌ ورداء، ووصل القومُ إلى حضرته حتى بايعوه، وكان يقال للرجل: بايِعْ أميرَ المؤمنين الإمامَ القائمَ بأمر الله على الرضا بإمامته، والالتزام بشرائط طاعته. فيقول: نعم، ويأخذ يدَه فيُقبِّلها، وأول من بايعه الشريف المرتضى، وأنشده شعراً في المعنى، وحضر من الغد الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر فبايعه، وكتب إلى الآفاق بالبيعة، وأخذ حاجبُ الحُجَّاب البيعةَ على الملك والإسْفَهسلارية والأتراكِ وغيرِهم، ولم يحضُرْ جلالُ الدولة البَيْعة؛ لأنَّ الأتراك شغبوا لأجل مال البيعة، وتكلَّم تركيٌّ بما لا يليق في حقِّ الخليفة، فقُتِلَ، وبلغ الأتراكَ، فخافوا وراسلوا حاجبَ الحُجَّاب، وقالوا: إن كان هذا برأي الخليفة انصرَفْنا عن هذا البلد، وإلَّا فنريد القتال لنُقيدَه بصاحبنا. فطالع الخليفةُ، فخرج الجواب: نحن مُنكِرون من هذا الأمر ما أنكروه، والذي جرى ما كان عن رأي ولا إرادة، وإنما هو من فِعْلِ رَعاعٍ لا يعرفون، وسفهاءَ لا يُضبَطون، وفي مقابلة قولٍ من المقتول تجاوزَ فيه قَدْرَه، وتعدَّى فيه طورَه، والآن فهؤلاء الغِلمانُ جندُنا، وأبناءُ دولتِنا، وأنصارُ دعوتِنا، ونحن لهم حامدون، وما نحبُّ أن يتخالجهم شَكٌّ ولا ارتيابٌ بجميل الاعتقاد فينا، وعلى هذا فما يُدفَعُ طلبُ القاتل وإمضاءُ حدِّ الله فيه، والسلام.

وقُرِئَتْ عليهم هذه الورقة، فأزالت كثيراً من نفورهم، وجلسوا للعزاء سبعةَ أيام، وتأخَّر الملك عن البيعة، وأظهر أن ذلك بسبب الأتراك؛ محاماةً لهم، وراسلوا الخليفة بسبب مال البيعة، فقال: إن الخليفة المتوفَّى لم يُخلِّفْ مالاً ولا ذخيرةً، ولو كان عندنا مالٌ لدفعناه لمن هو مقيمٌ عندنا من الغِلْمان، ثمَّ مَنْ تقدَّم من الأمراء لم يُطالبوا الخلفاءَ بمثل هذا، ولا يُفتَحُ هذا البابُ علينا. فأفضتِ الحالُ أن باع الخليفةُ بستاناً وخاناً من أنقاض داره وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار.

---

(١) السَّبَنِيَّة: ضربٌ من الثياب تُتَّخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون. اللسان (سبن).

وفيها بعث ملكُ الروم عسكراً فأخذ الرُّها، وسببُه أنَّ أبا نصر بن مروان صاحب ميَّافارقين كان قد انتزعها من يد رَجُلٍ ـ يقال له: عُطير ـ وابنِ شِبْلٍ كانا من بني نمير، وقتل عُطَيراً، فتعصَّب لهما صالح بن مِرْداس، وتوسَّط لابن عُطَير ولابن شبل بردِّها عليهما وتكون مناصفةً بينهما، فأجاب ابنُ مروان، وكان بها بُرْجان عظيمان، فأخذ ابنُ عُطَير البُرجَ الأكبر، وابنُ شبل الأصغر، واستناب ابنُ عُطَيرٍ في بُرجه رجلاً يقال له: سليمان الكوجري، فاستوحش من ابن عُطَير، فراسلَ الرومَ، وباع البُرجَ بعشرين ألف دينارٍ روميَّةٍ، وأربعِ ضياعٍ في نواحي الروم، وسلَّمه إليهم، فجاء الرومُ وأقاموا فيه، فاستوحش أهلُ الرُّها، وخرجوا بأولادهم وأموالهم بعد أن نال منهم النصارى وهدموا المساجد، فبعث ابنُ مروان عسكراً من الأكراد فحصروا الرُّها، وهدموا بعضَ سورها، وانهزم الرومُ إلى البُرج، والنصارى إلى البِيْعة المشهورة، فنازلهم العسكرُ حتى فتح الكنيسة، وسبى النصارى ونهبَهم، وحاصروا البُرجَ ـ وكان وثيقاً ـ ونزل الثلج، فلم يُمكنهم المُقام، وكان مُقدَّمَ العسكر رجلٌ يُكنى أبا سليمان بن بلاسون، فرجع إلى ميَّافارقين، وكتب ابنُ مروان إلى ملك الروم: قد علمتَ ما جرى عليكَ في قصد حلب ـ وكان قد قصدَها في أربع مئة ألفٍ، فرجع خائباً، بعد أن أخذوا جميعَ ما كان معه، وقتلوا رجالَه ـ وأنَّ المسلمين لا يفارقونك على أخذ الرُّها، وأُشير عليك بالرجوع عن هذا. فلم يلتفِتْ، وبعث عشرة آلاف رجل، فبنَوا ما هدمه سليمانُ من سورها، وخرجوا فنهبوا صرحها.

وكان ابنُ وثَّاب النُّميري بحرَّان[1]، فهادنهم على حرَّان وسَرُوج، وقُرِّر عليه أتاوةٌ في كلِّ سنة يحملها إليهم الدِّزْبِري الذي قتل صالح بن مِرْداس، وقد طلبَ حسانَ بن المُفرِّج الطائي وشرَّدَه وشرط فاميا كلَّها، وكان حسان ينتقل من مكان إلى مكان، فألجأتْه الضرورةُ أن دخلَ في طاعة ملك الروم، ورفع الصليبَ على رأسه، وضمَّ إليه ملكُ الروم عسكراً، وبعثَه إلى أفامية فكبسها، وسبى كثيراً منها، وبلغ الدِّزْبِريَّ، فنادى في الشام بالاستنفار والغزو.

(١) في (ف): بخراسان، وهو تحريف.

وفيها استولَتْ عساكرُ خراسان على الريِّ، وأخرجوا منها علاءَ الدولة بن كاكويه بعد قتالٍ شديد جرى بينهم، وكان مُقدَّمَ العساكر الخراسانية ياسٌ الفرَّاشُ ورَدَ إليها في ذي الحجَّة ومعه ثلاثةُ أفيلَة من فِيَلَةِ مسعود بن محمود، فهجم الريَّ والفِيَلَةُ بين يديه، فانهزم ابنُ كاكويه.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحد من العراق.

وفيها تُوفِّي

## القادرُ بالله[1]

واسمه أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدر، وكنيته أبو العباس، وأمُّه يمنى مولاة عبد الواحد بن المقتدر، ولد يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وتقلَّد الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة، وكان أبيضَ، حسنَ الجسم، كثَّ اللحية، [وكان] يخضب.

[قال الخطيب]: وكان من [أهل] الستر والصيانة، [والعفَّة والديانة، وإدامة الصلوات، وكثرة الصيام] والصدقات، وحُسْنِ الطريقة، وصحةِ الاعتقاد، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، على مذهب مشهور، وصنَّفَ كتباً كثيرةً في فنون، منها: كتابٌ في أصول الدين، وكتابٌ في فضائل الصحابة وعمر بن عبد العزيز، وكتابٌ كفَّر فيه القائلين بخَلْقِ القرآن، وكانت كتُبُه تُقرأ في كلِّ جمعة بجامع المهدي، وبحضرة القُضاة والعلماء والأعيان، و[ذكر محمد بن عبد الملك الهَمْداني أن القادر] كان يتنكَّرُ ويلبَسُ زِيَّ العوام، ويقصد الأماكن المعروفة بالبركة، كقبر معروف الكَرْخي وتربة[2] ابن يسار.

وقال الحسين بن هارون القاضي: كان بالكَرْخ يتيمٌ وله دكَّانٌ له قيمة، فأمرني ابنُ حاجب النعمان أن أفُكَّ عنه الحَجْرَ ليبتاع منه الدكَّان، فلم أفعل، فأنفذ يستدعيني،

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧ـ٣٨، و المنتظم ١٥/ ٢٢٠ـ٢٢١.

(٢) تصحفت في (خ) و (ف) إلى: يزيد، والمثبت من (م) و (م١)، وابن يسار هذا هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة، واسم التربة المدفون فيها: تربة الخيزران، وهي شرقي قبر معروف الكرخي. ينظر تاريخ بغداد ١/ ١٢٣.

فقلت لغلامه: تقدَّمْ حتى ألحقَكَ. ففعَلَ، وجئتُ إلى قبر معروف، فدعوتُ الله أن يكفيني شرَّه، وجئتُ إلى قبر ابن يسار، فرآني شيخٌ وأنا أدعو، فقال: أيها القاضي على مَنْ تدعو؟ فقلت: على ابنِ حاجبِ النعمان، أمرني بكذا وكذا. فأمسكَ عني، وجئتُ إلى ابنِ حاجب النعمان، فجعل يخاطبني خطاباً غليظاً في فكِّ الحَجْر عن اليتيم، وأعتذِرُ فلا يقبَلُ عُذري، وإذا قد وافاه خادمٌ بتوقيع، ففتحه وقرأه، فتغيَّر لونُه ثم عدل من الغِلْظة إلى الاعتذار، وقال: كتبتَ إلى الخليفة قصةً؟ قلتُ: لا واللهِ، وعلمتُ أنَّ الشيخ الذي التقاني هو القادر، وأنه كتب إليه ينهاه عني.

وكان القادرُ يوصل الرسوم في كل سنةٍ إلى أربابها من غير أن يكتبوا له قصصاً، فإن مات أحدٌ منهم أُعيد ما يخصُّه إلى ورثته، وبعث يوماً إلى ابن القزويني الزاهد يسأله أن يُنفِذَ إليه من طعامه الذي يأكله، فأنفذ إليه طبقاً من خِلاف[1]، فيه من غضائرَ[2] لِطاف، بانذنجان، وباقِلَّاء، ودبس، وعليها رغيفان من خبز البيت، وشدَّ ذلك في مئزر قطن، وبعث به إليه، فتناول الخليفة من كلٍّ لون، وفرَّق الباقي، وبعث إلى ابن القزويني بمئتي دينار، فلمَّا كان بعد أيام أنفذ يلتمس منه شيئاً من إفطاره، فأنفذ طبقاً جديداً فيه زباديُّ جِياد، فراريجُ وقطعةُ فالوذٍ وخبزُ سميد ودجاجةٌ مشوية، وقد غطَّى ذلك بفوطة جديدة، فلمَّا وصل ذلك إلى الخليفة تعجَّب وقال: قد كلَّفْنا الرجُلَ ما لم تَجْرِ له به عادة، وأرسل إليه: لِمَ تكلَّفْتَ؟ فقال: ما تكلَّفتُ، وإنما اعتمدتُ ما أمرني الله به، إذا وسَّعَ عليَّ وسَّعتُ على نفسي، وإذا ضيَّقَ عليَّ ضيَّقتُ، وقد كان من إنعام أمير المؤمنين ما عُدْتُ به على نفسي وجيراني. فعجبَ القادرُ من دينه وعقله، ولم يزَلْ يواصله بالعطاء.

وكان القادر يقسم الطعام الذي لإفطاره ثلاثةَ أقسام؛ فقِسمٌ يتركه بين يديه، وقِسمٌ يبعثه إلى جامع الرُّصافة، وقِسمٌ إلى جامع المنصور، فاتَّفق أنَّ الفرَّاش حمل إلى جامع المنصور جُؤْنةً فيها طعام، ففرَّقه على المنقطعين، فأخذوا، إلَّا شابٌّ [فإنه][3] لم يأخُذْ، فلمَّا صلَّى المغربَ خرج الشابُّ من الجامع، فتبِعَه الفرَّاشُ، فوقف على باب

(١) الخِلاف: نبات الصفصاف. المعجم الوسيط (خلف).

(٢) الغضائر: أواني فخارية أو خزفية مصنوعة من الصلصال. ينظر تكملة المعاجم ٧/ ٤١٩ .

(٣) هذه الزيادة من (ف).

فاستطعم، فأطعموه كُسيراتٍ، فأخذها وعاد إلى الجامع، فتعلَّق به الفرَّاش وقال: أما تستحي، يُنفِذُ إليك خليفةُ الله في أرضه طعاماً حلالاً فتردُّه، وتخرج فتستَطْعِمُ من الأبواب؟ فقال: ما ردَدْتُه إلَّا لأنَّك عَرَضْتَه عليَّ قبل الإفطار، وكنتُ غيرَ محتاجٍ إليه حينئذٍ، فلمَّا جاء وقتُ الإفطار استطعَمْتُ وقتَ الحاجة. فعاد الفرَّاشُ وأخبر القادرَ، فبكى، وقال: راعٍ مثلَ هذا، واغتنِمْ أجرَه، وأقِمْ إلى وقت الإفطار، وادفَعْ إليه ما يُفطِرُ عليه.

وقال أبو الحسن الأبهري: بعثني بهاءُ الدولة من الأهواز برسالة إلى القادر بالله، فلمَّا أذن لي في الدخول عليه، سمعتُه ينشد: [من الكامل]

سبقَ القضاءُ بكُلِّ ما هو كائنُ ... واللهُ يا هذا لرزقِكَ ضامِنُ
تَعنى بما تُكفى وتترُكُ ما بِهِ ... تَغْنَى كأنَّك للحوادثِ آمِنُ
أوَ ما ترى الدنيا ومصرعَ أهلِها ... فاعمَلْ ليومِ فِراقِها يا خائِنُ
واعلَمْ بأنَّكَ لا أبا لَكَ في الذي ... أصبحْتَ تملِكُهُ لغيرِكَ خازِنُ
يا عامر الدُّنيا أتعمُرُ منزلاً ... لم يَبْقَ فيه مع المنيَّةِ ساكِنُ
الموتُ شيءٌ أنتَ تعلَمُ أنَّهُ ... حقٌّ وأنتَ بذِكْرِهِ مُتهاوِنُ
إنَّ المنيةَ لا تؤامِرُ مَنْ أتَتْ ... في نفسِهِ يوماً ولا تستأذِنُ[1]

فقلتُ: الحمد لله الذي وفَّقَ أميرَ المؤمنين لإنشادِ مثلِ هذه الأبيات، وتدبُّرِ معانيها، والعملِ بمضمونها. فقال: يا أبا الحسن بل لله مِنَّةٌ علينا إذ ألهَمَنا بذِكْرِه، ووفَّقَنا لِشُكرِه، ألم تسمع قول الحسنِ البصريِّ وقد ذُكِرَ عنده أهل المعاصي، فقال: هانوا عليه فعصَوه، ولو عزُّوا عليه لعصَمَهُم.

**ذكر وفاته:**

تُوفِّي القادر [بالله] ليلةَ الاثنين الحادي عشر من ذي الحجَّة، ودُفِنَ ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء في دار الخلافة بعد أن صلَّى عليه ابنُه القائمُ بأمر الله ظاهراً، وعامَّةُ الناس وراءه، وكبَّر عليه أربعاً، ولم يزَلْ مدفوناً في الدار حتى نُقِلَ تابوتُه، وحُمِلَ في الطيَّار

(١) قائل هذه الأبيات أبو العتاهية، وهي في ديوانه ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

ليلاً إلى الرُّصافة فدُفِنَ بها ليلة الجمعة لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي القَعدة سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة، وعمره ستٌّ وثمانون سنة وعشرةُ أشهر وواحدٌ وعشرون يوماً، و[كانت] مدة خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوماً، ولم يبلُغْ هذا العمر من الخلفاء أحدٌ قبلَه، ولا أقامَ في الخلافة قبلَه هذه المدة، وكان امرءاً صالحاً، تقيًّا ورِعاً، حسنَ الخليقةِ، جميلَ الطريقةِ، صَلِفَ النفسِ[1]، كثيرَ المعروف، أقام ابنَ حاجب النعمان في كتابته اثنتين وثلاثين سنةً وستةَ أشهرٍ وأياماً، وحجب جماعةً آخرهم منصور بن طاس، وأبو منصور بن بكران، وقاضيه أبو عبد الله الحسين ابن هارون الضبِّي، وعبد الله بن محمد الأسدي، وعبد العزيز بن أحمد الجزري، وأحمد بن محمد بن أبي الشوارب، ومحمد بن الحسن الواسطي، ومضَتْ هذه الجماعةُ في أيامه، وآخِرُ من قضى له ووقعت الوفاةُ عنه أبو عبد الله الحسين بن علي ابن ماكولا.

[وفيها تُوفِّي]

## عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد، أبو محمد، القاضي، البغدادي، [المالكي]، الفقيه، المصنِّف، [ذكره الخطيب[2] وأثنى عليه وقال: كتبتُ عنه]، لم يكُنْ في المالكيين أفقهَ منه، ولي القضاء بباكسايا وغيرِها، وخرج من العراق لإضاقته إلى مصر، فأقام بها.

وحصَلَ [له] [3] من المغاربة مالٌ عظيمٌ، وكان شاعراً فصيحاً، قال يتشوَّقُ إلى بغداد: [من الطويل]

سلامٌ على[4] بغدادَ في كلِّ موقفٍ ... وحُقَّ لها منِّي سلامٌ[5] مُضاعَفُ

فو اللهِ ما فارقتُها عن قِلًى[6] لها ... وإنِّي بشَطَّي جانبيها لَعارِفُ

---

(١) صَلِفُ النفس: قليل حظِّ النفس. اللسان (صلف).

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣١.

(٣) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٥/ ٢٢١، والكلام منه.

(٤) في (خ): إلى، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المنتظم وغيره.

(٥) في (خ): السلام.

(٦) في (م) و (م١): عن قليلها.

ولـكـنَّـهـا ضـاقَـتْ عـلـيَّ بـأسـرِهـا ولـم تـكُـنِ الأرزاقُ فـيـهـا تُـسـاعِـفُ
فـكـانَـتْ كـخِـلٍّ كـنـتُ أهـوى دُنُـوَّهُ وأخـلاقُـهُ تـنـأى بـهِ وتُـخـالِـفُ

[قال الخطيب]: وتوفِّي بمصر في شعبان.

[وذكره ابن عساكر[1] وقال]: قدم دمشق سنة تسعَ عشرة وأربع مئة مُجتازاً إلى مصر، فعبر بالمعرَّة على أبي العلاء، فأكرمه وأضافه، ومدحه بأبيات منها: [من البسيط]

والـمـالـكـيُّ ابـنُ نـصـرٍ زارَ فـي سـفـرٍ بـلادَنـا فـحَـمِـدْنـا الـنـأيَ والـسَّـفـرا

[وذكره أبو الحسن علي بن بسَّام في كتاب "الذخيرة" وأبو إسحاق الشيرازي وأثنى عليه. وقال ابن بسَّام والخطيب]: ولمَّا خرجَ من بغداد ودَّعه جماعةٌ من أهلها، فقال: واللهِ لو وجدتُ عندكم كلَّ يومٍ رغيفي خُبزٍ ما طلعتُ[2] من عندكم. والخبزُ يومئذٍ ثلاثُ مئة رطلٍ بدينار، وهذا [في] غاية الذمِّ [لهم؛ لأنَّه] أرادَ يُعرِّفهم سقوطَ همَّتِهم [وخِسَّةَ نفوسهم، فقال أبو إسحاق الشيرازي: ولمَّا خرج من بغداد] قال: [من البسيط]

بـغـدادُ دارٌ لأهـلِ الـمـالِ واسـعـةٌ[3] ولـلـصَّـعـالـيـكِ دارُ الـضَّـنْـكِ والـضـيـقِ
أصـبـحـتُ فـيـهـا مُـهـانـاً فـي أزِقَّـتِـهـا كـأنَّـنـي مُـصْـحَـفٌ فـي كـفِّ زِنْـديـقِ

حدَّث عن ابن شاهين وغيرِه، وروى عنه [الخطيب و] أبو إسحاق الشيرازي وغيرُهما، وكان ثقةً.

## السنة الثالثة والعشرون والأربع مئة

فيها في يوم الجمعة لستٍّ خَلَونَ من المُحرَّم خرج الناس يستسقون بأمر الخليفة، فتردَّدوا أياماً إلى المساجد الجامعة، فلم يُسقَوا.

وفي يوم عاشوراء فعل أهل الكَرْخ ما جرت به العادة من النَّوح، وتولَّى ذلك العيَّارون، ولم يلتَفِتوا إلى السَّلطنة[4].

---

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ١٠٣ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق). وليس فيه ذكر البيت.

(٢) في (م) و (م١): خرجت، وكلاهما بمعنى.

(٣) في (م) و(م١): طيبة.

(٤) الخبران بنحوهما في المنتظم ١٥/ ٢٢٢.